حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٦ (عدد إبريل – يونيه ٢٠١٨)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

مراعاة المتلقي في كتاب سيبويه الظواهر والتفسيرات

نوح بن يحيى الشهري *

أستاذ اللغة العربية المساعد بجامعة الملك عبدالعزيز – جدة

المستخلص

يتناول هذا البحث دراسة أهم الظواهر المتعلقة بمراعاة المتلقي في كتاب سيبويه وتفسيراتها، وقد انتهى الباحث إلى أن مراعاة أحوال المتلقي في بناء الجملة النحوية عند سيبويه من أبرز وشائج الصلة بين الجملة النحوية والعوامل الخارجية غير اللغوية، وهي نتيجةٌ تحفظ للتفكير النحوي عند العرب أسبقيته على النظريات الحديثة، ولاسيما الوظيفية والتداولية في الكشف عن تلك الصلة الوثيقة، ومن أبرز نتائج البحث: أن من أهم الظواهر النحوية التي تلحق الجملة بناءً على مراعاة المتلقي عند سيبويه: التعريف والتنكير، والحذف، واستعمال الضمائر أوترك ذلك، والاختصاص، وتغيُّر علامات الإعراب رفعاً وخفضاً ونصباً، وقد أرجع ذلك إلى عدة تفسيرات منها :الاستغناء بعلم المخاطَب ومشاهدته، واختصار الكلام واتساعه، وتجنُّب حصول اللبس على المخاطَب.

الكلمات المفتاحية:

سيبويه – المتلقي –كتاب سيبويه – الجملة النحوية –الظاهرة–التفسير–الاتصال

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

فلقد استنتج سيبويه من كلام العرب الفصحاء، وأنحاء تصرفاتهم في الألفاظ والمعاني، أن ثمة أموراً غير لفظية تؤثر في بناء الكلام، ومنها : مراعاة حال المتلقي أو السامع الذي يُعَدُّ أحد العناصر المهمة في بناء الجملة النحوية عند سيبويه وتعليلها.

وقد بث سيبويه حول هذا الموضوع في "كتابه" شذراتٍ وومضاتٍ رأيت أنها تستحق الجمع والدراسة والتحليل بوصفها المادة الأولى التي يتأسس عليها ما بعدها، وبوصفها صادرةً عن منهجٍ أصيلٍ في البحث النحوي، تأسس على استقراء كلام العرب وتصرفاتهم في الألفاظ والمعاني، وبكونها أيضاً شذرات صادرة عن عالمٍ يُعدُّ هو المصنِّف الأول لعلم النحو، وقد أكثر من الإشارة إليها والتنبيه عليها في أبواب مختلفة من كتابه، مما يدل على أن هذا الموضوع يحظى بمكانةٍ عند سيبويه في الدرس النحوي.

ولما كانت تلك النصوص الواردة في كتاب سيبويه المتعلقة بمراعاة المتلقي في بناء الجملة النحوية متناثرةً، وتشمل أبواباً متنوعة، وبعضها صريحٌ، وبعضها دون ذلك، ارتأيت أن أقوم بجمع أهمِّها، وتحليلها،وتجلية نتائجها، من خلال بحثٍ بعنوان: "مراعاة المتلقي في كتاب سيبويه: الظواهر والتفسيرات ".

أسباب اختيار الموضوع:

أولاً: ترسيخ اتجاه التقعيد النحوي القائم على دراسة قضايا المعنى إلى جانب نظرية العامل، وهو ما يسهم في ردِّ النحو إلى أصله المعنوي بعد ما اتجه به بعض أصحابه إلى المسار الشكلي.

ثانياً : إبطال الدعوى التي تُردَّدُ بين فينةٍ وأخرى حول شكلية علم النحو وجموده ووعورة فهمه، وهي دعوى تقصد الإطاحة بقانون اللغة التي نزل بها القرآن، والتي لا تُفهم الشريعة إلا وفقها، ولا يتحقق الرد على مثل هذه الفرية إلا بإثبات ضدِّها.

ثالثاً : الكشف عن أسبقية علماء المسلمين الأوائل مثل سيبويه في فضل تأسيس نظريات العوامل الخارجية(غير اللفظية) التي تؤثر في التركيب النحوي، ومنها نظرية مراعاة المتلقي وأثرها في بناء الكلام، والإشارة إلى أهميتها، ومكانتها في ذلك، منذ زمن مبكر، لا كما تزعم الدراسات اللغوية المعاصرة التي تنسب ذلك إلى بعض الباحثين الغربيين، وتعدّها من الاكتشافات اللغوية الجديدة، وهو بابٌ واسعٌ في العلاقة بين علم الاتصال وعلوم اللغة العربية.

أهداف البحث:

– بيان أهمية مراعاة المتلقي في بناء الجملة النحوية، وإثبات أنها من أبرز العوامل غير اللفظية التي تؤثر في ذلك، من خلال دراسة النصوص الواردة في كتاب سيبويه حول هذا الموضوع.

– الكشف عن الظواهر المتعلقة بمراعاة المتلقي في بناء الجملة النحوية وتفسيراتها، وذلك من خلال دراسة النصوص الواردة في كتاب سيبويه حول هذا الموضوع.

الدراسات السابقة:

نظراً للمكانة العلمية الرفيعة التي يحظى بها سيبويه في تأسيس الفكر النحوي فقد أُنجزت حوله العديد من الدراسات والأبحاث، غير أن أكثر هذه الدراسات ركّزت على الصناعة النحوية، والنظرية النحوية، والمنحى الوظيفي لأبواب النحو عند سيبويه،وملامح

التأسيس لمسائل هذا العلم، ومن خلال الاطلاع على كثيرٍ من تلك الدراسات وجدت أن ثمة موضوعاً لم يحظ بمزيد إبرازٍ ودراسةٍ رغم أن سيبويه كثيراً ما يشير إليه وينبِّه عليه، وهو العلاقة بين مراعاة المتلقي والظواهر النحوية التي تلحق الجملة وتفسيراتها، وهو الموضوع الذي كثيراً ما يُذكَر ضمن عناصر السياق، ولكنه لا يحظى بمزيد بيانٍ وتعمّقٍ في البحث، ومن أهم الدراسات التي رأيت أنها لامست شيئاً من الموضوع تضميناً لا استقلالاً :

١- أثر سياق الكلام في العلاقات النحوية عند سيبويه، للباحثة :سارة عبدالله الخالدي، رسالة ماجستير، بالجامعة الأمريكية في بيروت،٢٠٠٦م.

وقد تناولت الباحثة أهم عناصر السياق المؤثرة في التركيب النحوي عند سيبويه مع مقارنته بالتراث النحوي والمدارس اللغوية المعاصرة، وقد ركزت الباحثة على دور المتكلم في ذلك وسياق الموقف ووظيفته الذي هو محل الكلام، من إخبارٍ أو أمرٍ أو مدحٍ أو ذمٍّ،مع الإشارة إلى نصوصٍ يسيرةٍ تتعلق بالمخاطَب دون توسعٍ في تحليلها ودراستها، وهي دراسةٌ عامةٌ في نظرية السياق تحاول أن تثبت البعد الاجتماعي للغة عند سيبويه مقارنة بالمدارس اللغوية الغربية .

٢- المتكلم وأثره في بناء القاعدة النحوية في كتاب سيبويه، للدكتورة/بان بنت صالح مهدي الخفاجي، وهو بحثٌ منشورٌ في مجلة كلية الآداب، في بغداد، ع٩٧.

وقد تناولت الباحثة عنصر المتكلم وأثره في القاعدة النحوية عند سيبويه بوصفه أحد أهم عناصر نظرية السياق، واكتفت بالإشارة إلى اعتبار المخاطَب أحد العناصر المؤثرة في ذلك دون تفصيلٍ أو استطرادٍ ؛ لأنه خصَّت بحثها بالمتكلم دون المتلقي.

٣- علم المخاطَب بين التوجيه النحوي والتداولية، للدكتور/ عمر محمد ابو نواس، وهو بحثٌ منشورٌ في المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج ٧، ع٢، ٢٠١١م.

وقد تناول الباحث ظاهرة علم المخاطَب في الدراسات اللغوية بين القدامى والمحدثين، مع التركيز على العلاقة بين طرفي الكلام وأثرهما في تشكيل القاعدة النحوية، دون تعمُّقٍ في بحث الظواهر التي تلحق بالجملة النحوية وتفسيراتها، إضافة إلى أن الباحث لم يكن يعنيه جمع نصوص سيبويه حول هذا الموضوع ودراستها.

جوانب الإضافة في هذا البحث:

من خلال اطلاعي على أهم الدراسات السابقة فإن الإضافة التي أرجو أن أسهم بها من خلال هذا البحث تتركز في:

- جمع أهم نصوص سيبويه حول موضوع "مراعاة المتلقي وعلاقته بالجملة النحوية " ودراستها، وهي نصوص لها قيمتها العلمية التي لا تخفي.

- الكشف عن أبرز الظواهر المتعلقة بمراعاة المتلقي في بناء الجملة النحوية وتفسيراتها، من خلال دراسة أهم النصوص الواردة في كتاب سيبويه حول هذا الموضوع.

منهج البحث:

المنهج الذي اعتمدت عليه في هذا البحث هو المنهج التحليلي الاستنتاجي وذلك من خلال تحليل أهم النصوص الواردة في كتاب سيبويه مما له علاقةٌ بمراعاة المتلقي، مع استنتاج أهم الظواهر التي تلحق الجملة النحوية وتفسيراتها بناءً على ذلك.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من: مقدمةٍ، وتمهيدٍ، وثلاثة مباحث، وخاتمةٍ، وهي مرتبةٌ على النحو الآتي:

- المقدمة، وتشتمل على: أهمية البحث، وأسباب اختيار الموضوع، وأهدافه، والدراسات السابقة في الموضوع، والمنهج العلمي المتَّبع فيه، وخطة البحث.
- **التمهيد**، ويشتمل على:
  - تعريف المتلقي لغةً واصطلاحاً.
  - المصطلحات المرادفة للمتلقي عند سيبويه.
- **المبحث الأول:** بيان أهمية مراعاة المتلقي عند سيبويه .
- **المبحث الثاني:** الظواهر التي تلحق بالجملة النحوية بناءً على مراعاة المتلقي عند سيبويه.

وتشمل:

- **أولاً** : التعريف والتنكير.
- **ثانياً :** الحذف والإضافة.
- **ثالثاً :** الإضمار.
- **رابعاً :**الاختصاص.
- **خامساً** : تغير حالة الإعراب.

- **المبحث الثالث:** تفسير الظواهر التي تلحق بالجملة النحوية بناءً على مراعاة المتلقي عند سيبويه.

وتشمل :

- **أولاً :** الاستغناء بعلم المتلقي.
- **ثانياً :** الاستغناء بمشاهدة المتلقي.
- **ثالثاً :** الاختصار والإيجاز للمتلقي.
- **رابعاً :** أمن اللبس عند المتلقي .

- **الخاتمة :** وذكرتُ فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.
- **قائمة المراجع والمصادر.**

- **تعريف المتلقي لغةً واصطلاحاً:**

التلقي لغة[١] هو : المقابلة والاستقبال.

وهو مصدرٌ من الفعل " لقي".

يقال: لقي فلان فلاناً، ولاقاه لقياناً وملاقاةً وتلقياً، أي: صادفه و استقبله.

قال ابن فارس: "والأصل الآخر –لمادة :"ل ق ي" اللقاء: الملاقاة وتوافي الاثنين متقابلين "[٢].

ولاقاهُ مُلاقاةً ولِقاءً : قابَلَهُ.[٣]

قال ابن منظور:" وكلُّ شيءٍ اسْتَقْبَلَ شَيْئًا أو صَادَفَهُ فَقَدْ لَقِيَه مِنَ الأشياء كُلِّهَا "[٤].

وبناءً على ما ذُكِر من هذه المعاني اللغوية فإنه يمكن تعريف المتلقي لغةً بأنه : المستقبل .

والمتلقي اصطلاحاً هو : الذي يتوجه إليه الكلام سامعاً كان أو قارئاً [٥].

وهو يتوافق في معناه الاصطلاحي مع معناه لغةً كما تقدم.

وقد عدلت عن مصطلح السامع أو المخاطَب إلى مصطلح المتلقي ليشمل القارئ والسامع للكلام، وحتى لا يتوهم الاقتصار على من يسمع دون من يقرأ وقد وجه إليه الكلام واستقبله .

- **المصطلحات المرادفة للمتلقي عند سيبويه:**

استعمل سيبويه في كتابه عدة مصطلحاتٍ للدلالة على المتلقي الذي يتوجه إليه الكلام، فتارةً يستعمل مصطلح "السامع"، وتارة يستعمل مصطلح "المخاطَب"، وتارة يستعمل مصطلح "المخبَر"، وتارةً يستعمل مصطلح "المحدَّث"، وفي كل المواضع هو يعني بذلك من يتوجه إليه الكلام .

ومن المواضع التي استعمل فيها سيبويه مصطلح السامع ما ذكره تحت باب(ما جرى من الأمر والنهى على إضمار الفِعل المستعمَل إظهارُه إذا عَلِمْت أنّ الرجل مُسْتَغْنٍ عن لفْظِكَ بالفِعل) حيث جاء فيه:

"وكذلك لا يجوز زيدا، وأنت تريد أن أُبْلِغَه أنا عنك أن يَضْرِبَ زيداً؛ لأنك إذا أضمرتَ فعل الغائب ظنَّ السامعُ الشاهدُ إذا قلت: زيداً أنك تأْمُرُه هو بزيد، فكرهوا الالتباس هنا ككراهيتهم فيما لم يؤخذْ من الفعل نحوُ قولك: عَليكَ، أن يقولوا عليه زيداً، لئلاَّ يشبَّهَ ما لم يؤخَذْ من أمثلة الفعل بالفعل، وكرهوا هذا في الالتباس، وضَعُفَ حيث لم يُخاطبِ المأمورَ"(٦)

أما مصطلح "المخاطَب" فقد استعمله سيبويه في عدة مواضع ومنها :ما ذكره في (باب ما يُحذف المستثنى فيه استخفافاً) حيث جاء فيه:

"وقولهم: ليس أحدٌ أي ليس هنا أحدٌ، فكل ذلك حُذف تخفيفاً، واستغناءً بعلم المخاطَب بما يعني"(٧).

ويُعَدُّ مصطلح "المخاطَب" في كتاب سيبويه هو المصطلح الأكثر استعمالاً في الدلالة على من يتوجه إليه الكلام، حيث بلغ عدد مرات استعماله في الكتاب أربعاً وخمسين مرة (٥٤) شملت أبواباً متفرقة.

وأما مصطلح "المُخبَر" فقد استعمله سيبويه في مواضع قليلةٍ ومنها :ما ذكره في باب (الحروف التي تنزل بمنزلة الأمر والنهي لأن فيها معنى الأمر والنهي)حيث جاء فيه:

"سألت الخليل عن قوله جلَّ ذكره: " حتَّى إذا جاءوها وفتحت أبوابها " أين جوابها؟ وعن قوله جل وعلا: " ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب "، " ولو يرى إذ وقفوا على النَّار " فقال: إن العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم، لعلم المخبَر لأيِّ شيءٍ وضع هذا الكلام"(٨).

وأما مصطلح "المحدَّث" فقد استعمله سيبويه في مواضع عديدة ومنها: ما ذكره في (باب مجرى نعت المعرفة عليها) حيث جاء فيه:

"واعلم أن المضمر لا يكون موصوفا، من قِبل أنك إنما تضمِر حين ترى أن المحدَّث قد عرف مَن تعني، ولكن لها أسماء تُعطف عليها، تعمّ وتؤكد، وليست صفة؛ لأن الصفة تحلية نحو الطويل، أو قرابة نحو أخيك وصاحبك وما أشبه ذلك، أو نحو الأسماء المبهمة، ولكنها معطوفة على الاسم تجرى مجراه، فلذلك قال النحويون صفة، وذلك قولك: مررت بهم كلهم، أي لم أدعْ منهم أحداً، ويجيء توكيداً كقولك: لم يبق منهم مُخبّر"(٩).

وأياً كان اللفظ المستعمل في ذلك فإنه إذا تبين المراد وهو من يتوجه إليه بالكلام فلا مشاحة في الاصطلاح.

المبحث الأول
بيان أهمية مراعاة المتلقي عند سيبويه

المتلقي هو أحد عناصر الاتصال اللغوي، وهو الطرف الثاني في الخطاب الذي يقابل المتكلم، والذي لا يمكن أن يتم التخاطب إلا بوجودهما .

وإذا كان المتلقي هو أحد أهم عناصر الاتصال اللغوي فإن مراعاة أحواله في بناء الجملة النحوية، وتفسير الظواهر التي تلحق بها، يُعدُّ من أبرز تمثلات الصلة الوثيقة بين الكلام والمعنى وبين النحو والسياق، وهي علاقةٌ تلازمية، فلا يمكن أن يُبنى الكلام مُنْبَتًّا عن حال المتلقي له، وهو ما يقرره سيبويه في مواطن كثيرةٍ من كتابه، كما سيأتي معنا في هذا البحث.

كما أن مراعاة المتلقي للكلام في بناء الجملة النحوية تبرز خاصية الواقعية للجملة النحوية، ويظهر مدى تفاعلها مع واقع المتلقي وظروفه وأحواله عند توجيه الكلام إليه، حتى يحصل له مقصود الإفهام بما يتناسب مع حاله.

وإذا تأملنا ما يعلّل به سيبويه الجملة النحوية في مواضع شتى، وجدنا أنه تارةً يعلّل بعضها بالقواعد النحوية التي استنتجها من كلام العرب، وتارةً يعلل بعضها الآخر بما يرجع إلى بعض العناصر السياقية، كالمتكلم أو المخاطَب.

وإذا تعمقنا أكثر في التعليل بالحال أو المقام أو ما يُسمَّى بالسياق أو أحد العناصر السياقية وجدنا أن مراعاة ذلك في بناء الجملة هو من سنن العرب في الكلام، وعليه فإن ذلك راجعٌ إلى تصرفات العرب في الألفاظ والمعاني، وهو ما يتوخى سلوك سبيله سيبويه، بل إنه أسس كتابه على هذا الأصل كما وصف الشاطبي عمله في ذلك بقوله:" وإن تكلَّم في النحو-يعني: سيبويه-، فقد نَبّه في كلامه على مقاصد العرب، وأنحاء تصرفاتها في ألفاظها ومعانيها، ولم يقتصر فيه على بيان أنّ الفاعل مرفوع والمفعول منصوب، ونحو ذلك"(١٠).

ومن خلال استقراء المواضع التي أشار فيها سيبويه إلى أثر مراعاة المتلقي في بناء الجملة النحوية وتفسير الظواهر التي تلحق بها وجدت أنها بلغت أكثر من ثمانين (٨٠) موضعاً شملت أبواباً نحوية شتى، وهو ما يبرز مدى اعتناء سيبويه بالتنبيه على تلك الصلة الوثيقة بين الجملة النحوية وحال السامع لها .

وهذا كله ينطلق من مقصود التواصل اللغوي وهو الإفهام، فكيف يحصل الإفهام للسامع بجملةٍ لا يراعى فيها أحوال المخاطَب بها وظروفه .

كما أن ذلك يُعدُّ من اعتبار العوامل الخارجية غير اللغوية في تشكيل الجملة النحوية، الأمر الذي يحفظ للتفكير النحوي التراثي عند العرب أسبقيته في ذلك على النظريات الحديثة ولاسيما الوظيفية والتداولية.

ومما يظهر أهمية مراعاة المتلقي للكلام في بناء الجملة النحوية أننا نجد كثيراً من الظواهر النحوية وتفسيراتها يرجع إلى ما يتعلق بمراعاة المتلقي : فالحذف يحصل لعلم المتلقي، والزيادة تحصل لإزالة الإبهام عن المتلقي، والتقديم يحصل للعناية بالمتلقي، وهكذا كما سيأتي في الظواهر النحوية المتعلقة بمراعاة المتلقي وتفسيراتها.

المبحث الثاني
الظواهر النحوية التي تلحق الجملة
بناء على مراعاة المتلقي عند سيبويه

وهي على النحو الآتي:

- **أولاً : التعريف والتنكير:**

تعريف بعض الأسماء أو تنكيرها تبعاً لوضوح المعنى عند المتلقي من عدمه هو أمرٌ يخضع لظروف الكلام وملابساته المعبَّر عنه بـــ "مراعاة "السياق" أو"مراعاة الحال" الذي من عناصره :المتلقي.

وقد بنى سيبويه كلامه في تعريف المبتدأ والخبر وتنكيرهما على ما يعلمه المخاطَب، أو يحتاج أن يعلمه، مع الابتعاد عن ما يتسبب في حصول اللبس عند المخاطَب .

ومن الأمثلة التي ساقها سيبويه على ذلك ما ورد في قوله:

"إذا قلت عبد الله منطلق، تبتدئ بالأعرف ثم تَذكر الخبرَ، وذلك قولك: كان زيدٌ حليماً، وكان حليماً زيدٌ، لا عليك أقدمت أم أخَّرتَ، إلا أنه على ما وصفتُ لك في قولك: ضربَ زيداً عبدُ الله، فإذا قلت: كان زيدٌ فقد ابتدأتَ بما هو معروف عنده مثلَه عندك فإنَّما ينتظر الخبر، فإذا قلت: حليماً فقد أعلمتَه مثلَ ما علمتَ، فإذا قلتَ كان حليماً فإنَّما ينتظِر أن تعرفه صاحب الصفة، فهو مبدوء به في الفعل وإنْ كان مؤخَّراً في اللفظ، فإن قلتَ: كان حليم أو رجلٌ فقد بدأتَ بنكرةٍ، ولا يستقيم أن تُخبرَ المخاطَبَ عن المنكور، وليس هذا بالذي يَنْزِلُ به المخاطَبُ منزلتَك في المعرفة، فكرهوا أن يَقْرَبوا بابَ لبْس"(١١).

ففي هذا المثال يربط سيبويه صحة بناء الجملة الخبرية بما يعلمه المخاطَب أو يحتاج أن يعلَمه، فإذا قال المتكلم :"كان زيد" فقد ابتدأ بما يشترك في معرفته المتكلم والمخاطَب، ولايزال المخاطَب ينتظر الخبر، فإذا قال المتكلم بعد ذلك "حليماً" فقد اكتمل المعنى واتضح للمخاطَب.

أما إذا ذكر المتكلم الخبر وأغفل المخبَر عنه فقال– مثلا –:"كان حليماً" فالجملة لا تصح ؛ لأن المعنى لم يتضح للمخاطب حتى يعلم الموصوف بذلك.

كما بنى سيبويه كلامه في صحة الابتداء بالنكرة ومجيء الخبر نكرة لمبتدأ نكرة على ما يعلمه المخاطَب أو يحتاج أن يعلمه.

ومن الأمثلة التي ساقها على ذلك ما ورد في قوله:

"وكذلك لا يصح الابتداء بالنكرة، مثل أن يقول: "كان رجلٌ" ؛ لأنه لا يستقيم أن تخبر المخاطَب عن منكور بالنسبة إليه، وهو من أسباب اللبس التي تحصل عند المخاطَب فلا يحصل بذلك الإفهام.

وذلك قولك: ما كان أحدٌ مثلك، وما كان أحدٌ خيراً منك، وما كان أحدٌ مجترئاً عليك.

وإنّما حَسُنَ الإخبارُ ههنا عن النكرة حيث أردت أن تَنفي أنْ يكونَ في مثل حاله شيءٌ أو فوقه، ولأن المخاطَبَ قد يحتاج إلى أن تُعْلِمَهَ مثلَ هذا.

وإذا قلت كان رجلٌ ذاهِباً فليس في هذا شيءٌ تُعلِمهُ كان جَهِلَه، ولو قلت كان رجلٌ من آل فلانٍ فارساً حسن؛ لأنه قد يحتاج إلى أن تعلمه أن ذاك في آل فلانٍ وقد يَجْهلَه"(١٢).

ففي هذا المثال يشترط سيبويه لصحة مجيء الخبر نكرة لمبتدأ نكرة أن يكون المخبَر عنه مما يحتاج أن يعلمه المخاطب، كما لو قال :" ما كان أحدٌ مثلك"، فالمخاطَب هنا قد

يحتاج إلى أن تعلمه ذلك الأمر الذي كان يجهله .

أما قولك :" كان رجلٌ ذاهِباً" فلا يعتبر تركيباً صحيحاً ؛ لأنك لم تعلم المخاطَب بشيءٍ كان يجهله، بينما لوقلت :" كان رجلٌ من آل فلانٍ فارساً" فهذا تركيبٌ صحيح ؛ لأنه قد يحتاج المخاطَب أن يعلم أن ذاك في آل فلان .

ومن الأمثلة التي ساقها على ذلك–أيضاً– أنك "تقول: إن ألفا في دراهمك بيضٌ، وإن في دراهمك ألفا بيضٌ، فهذا يجرى مجرى النكرة في كان وليس؛ لأن المخاطَب يحتاج إلى أن تُعلمه ههنا كما يحتاج إلى أن تعلمه في قولك ما كان أحدٌ فيها خيرا منك، وإن شئت جعلت فيها مستقراً وجعلت البيض صفة"(١٣).

وهذا كله من تسويغ الابتداء بالنكرة اعتماداً على علم المتلقي بما يعنيه المتكلم .

قال ابن هشام :"وَالتَّحْقِيق أَن الْمُبْتَدَأ مَا كَانَ أعرف كزيد فِي الْمِثَال، أَو كَانَ هُوَ الْمَعْلُوم عِنْد الْمُخَاطب، كَأَن يَقُول من الْقَائِم فَتَقول زيد الْقَائِم، فَإِن علمهما وَجَهل النِّسْبَة فالمقدم الْمُبْتَدَأ"(١٤).

بل ذهب إلى أبعد من ذلك حينما ربط بين التعريف والتنكير ومعرفة المخاطب بالاسم أو الخبر في أحوال مختلفة فقال:

"مَا يعرف بِهِ الِاسْم من الْخَبَر

اعْلَم أَن لَهما ثَلَاث حالات:

إِحْدَاهَا أَن يَكُونَا معرفتين، فَإِن كَانَ الْمُخَاطب يعلم أحدهمَا دون الآخر، فالمعلوم الِاسْم والمجهول الْخَبَر، فَيُقَال كَانَ زيدٌ أَخا عَمْرو لمن علم زيداً وَجهل أخوته لعَمْرو، وَكَانَ أَخُو عَمْرو زيداً لمن يعلم أَخاً لعَمْرو ويجهل أَن اسْمه زيد ،وَإِن كَانَ يعلمهما ويجهل انتساب أحدهمَا إِلَى الآخر فَإِن كَانَ أحدهمَا أعرف فالمختار جعله الِاسْم، فَتَقول كَانَ زيدٌ الْقَائِم لمن كَانَ قد سمع بزيد وَسمع برَجُلٍ قَائِم فَعرف كلا مِنْهُمَا بِقَلْبِه وَلم يعلم أَن أحدهمَا هُوَ الآخر، وَيجوز قَلِيلاً كَانَ الْقَائِم زيداً، وَإِن لم يكن أحدهمَا أعرف فَأَنت مُخَيّرٌ نَحْو كَانَ زيدٌ أَخا عَمْرو وَكَانَ أَخُو عَمْرو زيدا..."(١٥).

كما أوضح المبرد–أيضاً– بأن الضابط في حذف المعرفة والنكرة هو علم المخاطَب بما يعنيه المتكلم فقال:

"والمعرفة والنكرة هَاهُنَا وَاحِد وَإِنَّمَا تحذف إذا علم الْمُخَاطب مَا تعنى بأن تقدم لَهُ خَبرا أو يجْرِي الْقَوْل على لِسَانه"(١٦).

وصرح بذلك الرضي في شرحه على الكافية لابن الحاجب حيث قال:

" فضابط تجويز الإخبار عن المبتدأ وعن الفاعل، سواءٌ كانا معرفتين أو نكرتين مختصتين بوجهٍ أو نكرتين غير مختصتين، شئٌ واحد وهو : عدم علم المخاطب بحصول ذلك الحكم للمحكوم عليه" (١٧).

- **ثانياً : الحذف والإضافة :**

المتكلم قد يصير إلى الحذف في الكلام إذا غلب على ظنه أن المتلقي قد حصل له فهم المقصود من كلامه ، وبان له المعنى المراد، دون أدنى لبسٍ أو إبهام.

فإن غلب على ظن المتكلم أن المتلقي قد لا يفهم المراد، أو يلتبس عليه بسبب الحذف، فإن الحذف حينئذٍ يكون معيباً في الكلام .

- ومن الصور التي ذكرها سيبويه على الحذف لعلم المخاطب بالمراد: حذف اسم "لا" كما في قولك: "لا عليك " إذا علم المتلقي من تعني بذلك.

قال :"وحذفوا كما قالوا: حِينَئِذٍ الآنَ، وإنّما يريد: حينئذٍ واسْمَعْ إليَّ الآنَ، فحَذَفَ واسمعْ، كما قال: تالله ما رأيت كاليوم رجلاً، أي كرجلٍ أراه اليومَ رَجُلاً.

وإنَّما أضمرُوا ما كان يقَع مُظهَرا استخفافاً، ولأن المخاطَب يعلم ما يعنى، فجرى بمنزلة المثل، كما تقول: لا عليكَ، وقد عَرَفَ المخاطبُ ما تعنى، أنّه لا بأسَ عليك، ولا ضَرَّ عليك، ولكنَّه حُذِف لكثرة هذا في كلامهم"(١٨).

وقد أوضح ذلك المبرد بقوله:" وَمِمَّا يحذف لعلم الْمُخَاطب بِمَا يقْصد لَهُ قولهم (لَا عَلَيْك) إِنَّمَا يُرِيدُونَ لَا بَأْس عَلَيْك وَقَوْلهمْ(لَيْسَ إِلَّا)وَ(لَيْسَ غير) إِنَّمَا يُرِيدُونَ لَيْسَ إِلَّا ذَلِك"(١٩).

- ومن صور ذلك –أيضاً– : أن سيبويه علل حذف فاعل (كان) التامة في مثل قولك: "إذا كان غداً فائتني" بعلم المخاطَب بما يعني، كما ورد في قوله:

"وتقول: إذا كان غد فائتِ، وإذا كان يومُ الجمعة فالْقَنى؛ فالفعل لغدٍ واليوم، كقولك: إذا غد فائتِ، وإن شئت قلت: إذا كان غداً فائتِ، وهى لغة بنى تميم، والمعنى أنّه لقى رجلا فقال له: إذا كان ما نحن عليه من السَّلامة أو كان ما نحن عليه من البلاء في غد فأتني، ولكنَّهم أضمروا استخفافاً؛ لكثرةِ (كانَ) في كلامهم، لأنَّه الأصلُ لما مَضى وما سَيَقَعُ "(٢٠).

- ومن صور ذلك –أيضاً– حذف (لك) التي للتبيين كما في قولك لآخر تدعو له أو تدعو عليه: "سقياً" أو "رعياً" أو "خيبة"، وذلك استغناءً بعلم المخاطَب الذي اختصَّ بذلك الدعاء.

قال سيبويه :"وإنما يَنتصب هذا وما أشبهه إذا ذُكر مذكورٌ فدعوتَ له أو عليه، على إضمار الفعل، كأنّك قلت: سَقاك الله سَقياً، ورَعاك " الله " رعياً، وخيبك الله خيبة، فكل هذا وأشباهه على هذا يَنتصب.

وإنَّما اختُزل الفعلُ ها هنا لأنَّهم جعلوه بدلاً من اللفظ بالفعل، كما جُعل الحَذَرَ بدلا من احذرْ.

وكذلك هذا كأنَّه بدلٌ من سَقاك اللهُ، ورَعاك اللهُ ، ومِن خَيَّبَك الله.

وما جاء منه لا يَظهر له فِعلٌ فهو على هذا المثال نُصب، كأنك جعلت بهراً بدلاً من بَهَرَك اللهُ، فهذا تمثيلٌ ولا يُتكلَّم به.

وممَّا يدلّك أيضاً على أنَّه على الفعلِ نُصب، أنّك لم تَذكر شيئاً من هذه المصادر لتَبنى عليه كلاماً كما يبنى على عبد الله إذا ابتدأتَه، وأنّك لم تجعله مبنيًّا على اسمٍ مضمَر في نيّتك، ولكنه على دُعائِك له أو عليه.

وأمّا ذكرُهم "لك" بعد سَقْياً فإنّما هو ليبيّنوا المعنيَّ بالدعاءِ، وربَّما تركوه استغناءً، إذا عَرَفَ الدّاعِي أنّه قد عُلم مَنْ يَعنى"(٢١).

وقد أشار الزجاج إلى هذا المعنى في قوله :

"وقد تستعمل أسماء في الدعاء ليست بمصادر فتجري هذا المجرى في النصب وإلزام اللام تبييناً كقوله: ويلاً لزيد وتربا له وجندلاً وما أشبه ذلك، فاللام للتبيين لا بد منها إلا أن تترك لعلم المخاطَب"(٢٢).

- ومن صور ذلك –أيضاً–: أن المضاف يحذف إذا لم يلتبس على المخاطَب:

"وتقول: ما كلٌّ سوداء تمرةً ولا بيضاءَ شحمةً، وإن شئت نصبتَ شحمةً، وبيضاءُ في موضع جرٍّ، كأنك أظهرت كلَّ فقلتَ ولا كلٌّ بيضاءَ. قال الشاعر أبو دُؤاد:

أكُــلَّ امــرئٍ تَحْسَــبِينَ امْــرَأً ونارٍ تَوَقَّدُ باللَّيْــلِ نــارَا

فاستغنيتَ عن تثنية (كل) لذكرك إيَّاه في أوّل الكلام ولقلّة التباسِه على المُخاطَبِ"[٢٣].

- ومن صور ذلك –أيضاً– : حذف المستثنى فيه اعتماداً على علم المخاطَب بما يعنيه المتكلم، ومما ورد عند سيبويه في ذلك قوله:

"باب يُحذف المستثنى فيه استخفافاً

وذلك قولك: ليس غيرُ، وليس إلا، كأنه قال: ليس إلا ذاك وليس غير ذاك، ولكنهم حذفوا ذلك تخفيفاً واكتفاءً بعلم المخاطَب بما يعنى"[٢٤].

ومن خلال ما ذكرنا من الأمثلة السابقة يتبين لنا أن الحذف يُعَدّ من أبرز الظواهر النحوية التي تلحق بالجملة بناءً على مراعاة المتلقي عند سيبويه.

- **ثالثاً : الإضمار:**

من الظواهر النحوية التي تلحق بالجملة بناءً على مراعاة المتلقي عند سيبويه :استعمال الضمائر أوترك ذلك بحسب حال المخاطَب وعلمه بالمتكلم.

- ومن الأمثلة التي توضح ذلك ما ذكره سيبويه في قوله:

"وذلك أن رجلاً من إخوانك ومعرفتك لو أراد أن يخبرك عن نفسه أو عن غيره بأمر فقال: أنا عبد الله منطلقا، وهو زيدٌ منطلقاً كان مُحالاً؛ لأنه إنما أراد أن يخبرك بالانطلاق ولم يقل هو ولا أنا حتى استغنيت أنت عن التسمية، لأن (هو) و(أنا)علامتان للمضمَر، وإنما يضمِر إذا علم أنك عرفت من يعنى، إلا أن رجلاً لو كان خلفَ حائط، أو في موضع تجهله فيه فقلت من أنت؟ فقال: أنا عبد الله منطلقاً في حاجتك، كان حسنا"[٢٥].

ففي هذا المثال يذكر سيبويه أن المخاطَب إذا كان يعرف المتكلم ولا يجهله، فلا يجوز استخدام الضمير كما لو قال :"أنا عبدالله منطلقاً" ؛ لأن المتكلم معروف عند المخاطَب، وهو يحتاج أن يعرف أمراً آخر وهو الانطلاق .

أما إذا كان المتكلم مجهولاً عند المخاطَب، أو في موضعٍ يحتاج المخاطَب أن يعلمه فحينئذٍ يحسن ذكر الضمير كما لوكان خلف حائط فقلت له : من أنت؟ فقال: أنا عبدالله منطلقاً في حاجتك .

كما أوضح سيبويه في(باب ما جرى من الأمر والنهى على إضمار الفِعل المستعمَلِ إظهارُه إذا عَلِمْت أنّ الرجل مُسْتَغْن عن لفْظِكَ بالفِعل) أن ذلك يصح اعتماداً على علم المخاطَب.

قال :"وذلك قولك: زيداً، وعمراً، ورأسَه، وذلك أنَّك رأيت رجلا يَضْرِبُ أو يَشْتِمُ أو يَقتل، فاكتفيتَ بما هو فيه من عمله أن تَلفظ له بعمله فقلت: زيداً، أي أوْقِعْ عملك بزيدٍ، أو رأيتَ رجلاً يقول: أضْرِبُ شَرَّ الناس، فقلتَ: زيداً، أو رأيتَ رجلاً يحدّثُ حديثاً فقَطعَهُ فقلتَ: حديثَك، أو قدِمَ رجلٌ من سفرٍ فقلت: حديثَك. استغنيتَ عن الفعل بعلمه أنّه مستخبرٌ، فعلى هذا يجوز هذا وما أشبهه وأمَّا النَّهْى فإنَّه التحذيرُ، كقولك: الأسَدَ الأسَدَ، والجِدارَ الجِدارَ، والصبيَّ الصبيَّ، وإنّما نهيتَه أن يَقرَبَ الجِدارَ المَخوفَ المائِلَ، أو يَقربَ الأسدَ، أو يوطئ الصبيَّ"[٢٦].

ثم قيد سيبويه صحة إضمار الفعل في ذلك بأن يكون المخاطب هو المأمور أو المنهي حيث قال:

"واعلم أنّه لا يجوز أن تقول: زيدٌ، وأنت تريدُ أن تقول: لِيُضْرَبْ زيدٌ، أو لِيَضْرِبْ زيدٌ إذا كان فاعلا، ولا زيداً، وأنت تريد ليَضرب عمرو زيداً، ولا يجوز: زيدٌ عمرا، إذا كنتَ لا تُخاطِبُ زيداً، إذا أردتَ لِيَضْرِب زيدٌ عمراً وأنت تخاطِبُنى، فإنَّما تريد أنْ أُبْلِغَه أنا عنك أنك قد أمرته أن يضرب عمراً، وزيدٌ وعمروٌ غائبان، فلا يكون أن تُضْمِرَ فِعْلَ الغائبِ، وكذلك لا يجوز زيدا، وأنت تريد أن أُبْلِغَه أنا عنك أن يَضْرِبَ زيداً؛ لأنك إذا

أضمرتَ فعل الغائب ظنَّ السامعُ الشاهدُ إذا قلت: زيداً أنك تأمُرُه هو بزيد، فكرهوا الالتباس هنا ككراهيتهم فيما لم يؤخذْ من الفعل نحوُ قولك: عَليكَ، أن يقولوا عليه زيداً، لئلاَّ يشبَّهَ ما لم يؤخَذْ من أمثلة الفعل بالفعل"(٢٧).

- ومن الأمثلة التي ذكرها سيبويه أيضاً على الإضمار بناءً على علم المخاطب بالمضمر قول عمرو بن شَأس(٢٨):

بنى أسَدٍ هل تَعْلَمُــون بَلاءَنــا إذا كــان يَوْمــاً ذا كَواكــب أشْــنَعا

إذا كانت الحُوُّ الطــوالُ كأنمــا كساها السلاحُ الأرجــوانَ المضــلَّعا

قال سيبويه: " أضْمَرَ لعلم المخاطَبِ بما يَعْنى، وهو اليومُ"(٢٩).

- **رابعاً : الاختصاص:**

ونعني بذلك: الاختصاص الذي يجري على ما جرى عليه النداء فيجيء لفظه على موضع النداء نصباً .

- ومن ذلك أنك تقول – مثلاً–:"إنا معشر الشباب نفعل كذا وكذا"، فتنصب "معشرَ" على أن تضمر "أعني".

قال سيبويه: "هذا بابٌ من الاختصاص يجري على ما جرى عليه النداء فيجيء لفظه على موضع النداء نصبا ؛ لأن موضع النداء نصب، ولا تجري الأسماء فيه مجراها في النداء؛ لأنهم لم يجروها على حروف النداء، ولكنهم أجروها على ما حمل عليه النداء.

وذلك قولك: إنا معشرَ العرب نفعل كذا وكذا، كأنه قال: أعني، ولكنه فعلٌ لا يظهر ولا يُستعمل كما لم يكن ذلك في النداء؛ لأنهم اكتفوا بعلم المخاطَب"(٣٠).

- **خامساً : تغير حالة الإعراب:**

من أهم الظواهر النحوية التي تلحق بالجملة بناءً على مراعاة المتلقي عند سيبويه: تغيُّر علامات الإعراب رفعاً وخفضاً ونصباً، وهو ما يؤثر في توجيه الحالات والمواضع الإعرابية ، وبيان أوجه كل منهما ، وما يؤثر فيهما، وما يلزم ذلك من تقريرٍ أو تفسيرٍ أو تعليلٍ بناءً على مراعاة المتلقي .

- ومن توجيه الحالة الإعرابية بناءً على مراعاة المخاطَب وما يحتاج أن يعلمه :ما ذكره سيبويه بشأن جمع المنعوت وتفريق النعت في باب (مَجرى النعتِ على المنعوتِ والشَّريكِ على الشَّريكِ والبَدَل على المُبْدِلَ منه وما أشبه ذلك) حيث ضرب على ذلك مثالاً فقال:

"ومنه أيضاً: مررتُ برجلين مُسْلِمٍ وكافرٍ، جمعت الاسمَ وفرّقتَ النعتَ، وإن شئت كان المسلم والكافر بدلاً، كأنّه أجاب من قال: بأي ضربٍ مررتَ؟ وإن شاءَ رَفَعَ كأنّه أجاب مَنْ قال: فما هما؟ فالكلامُ على هذا وإن لمَ يلفظ به المخاطَبُ؛ لأنّه إنما يَجرى كلامُه على قدر مسألتك عنده لو سألتَه"(٣١).

ففي هذا المثال الذي ساقه سيبويه توجيهٌ للحكم النحوي بالجر في الجواب الأول الذي جاء فيه النعت المفرق مجروراً على تقدير سؤال المخاطب "بأي ضرب مررت؟"،فتكون الجملة النحوية "مررت برجلين مسلمٍ وكافرٍ".

كما أن فيه توجيهاً للحكم النحوي بالرفع في الجواب الثاني الذي جاء فيه النعت المفرق

مرفوعاً على تقدير سؤال المخاطب "ما هما؟"، فتكون الجملة النحوية "مررت برجلين مسلمٌ وكافرٌ".

وكلا التوجيهين للحكمين بناهما سيبويه على تقدير ما يمكن أن يسأل عنه المخاطب أو يحتاج أن يعلمه، وهو من آثار مراعاة المخاطَب في بناء الجملة النحوية .

وشبيه ذلك ما ذكره –أيضاً– في مسألة قطع النعت بناءً على علم المخاطَب ومثَّل له بقوله:

" وقد يجوز أن تقول: مررت بقومك الكرام، إذا جعلت المخاطَب كأنه قد عرفهم، كما قال مررت برجلٍ زيدٌ، فتُنزله منزلة من قال لك من هو وإن لم يتكلم به. فكذلك هذا تُنزله هذه المنزلة وإن كان لم يعرفهم"(٣٢).

- ومن توجيه الحالة الإعرابية بناءً على علم المخاطَب : ما ذكره سيبويه بشأن حمل الاسم على الفعل الذي يليه في (باب الفاعلَيْنِ والمفعولَيْن اللذين كلٌّ واحد منهما يَفْعَلُ بفاعله مثل الذى يَفْعَلُ به وما كان نحو ذلك) حيث ضرب على ذلك مثالاً فقال:

" قولك: ضربتُ وضَرَبَنَى زيدٌ، وضربَنى وضربتُ زيداً، تَحمل الاسمَ على الفعل الذى يَليه، فالعاملُ في اللفظ أحدُ الفعلين، وأمّا في المعنى فقد يُعْلم أنَّ الأوّل قد وقع إلاّ أنّه لا يُعْمَلُ في اسمٍ واحدٍ نصبٌ ورفعٌ،وإنّما كان الذى يليه أوْلَى لقُربِ جواره وأنه لا ينقُضُ معنىً، وأنّ المخاطَبَ قد عَرَفَ أنَّ الأوّلَ قد وقع بزَيْدٍ"(٣٣).

وهو ترجيحٌ لإعمال الفعل الثاني حملاً على علم المخاطَب من أنه عرف عمل الفعل الأول، وأنه قد وقع.

وقد استشهد على ذلك بقوله تعالى: (﴿ ﴾) [الأحزاب:٣٥] حيث قال:

"ومما يقوّى تركَ نحوِ هذا لعلم المخاطَب، قولُه عزّ وجلّ: ﴿ ﴾ فلم يُعْمِلِ الآخِرَ فيما عمل فيه الأوّلُ استغناءً عنه"(٣٤).

ووجه الاستشهاد : أنه حذف المفعول من الحافظات والذاكرات ؛ لأن ذكره فيما ما تقدم قد دل عليه.

قال المبرد:" هَذَا بَابٌ من إعْمَال الأول وَالثَّانِي، وهما الفعلان اللَّذَان يعْطف أحدهمَا على الآخر

وَذَلِكَ قَوْلك :ضربت وضربني زيد، ومررت بي عبد الله، وَجَلَست وَجلسَ إليَّ أخَوَاك، وَقمت وَقَامَ إليَّ قَوْمك، فَهَذَا اللَّفْظ هُوَ الَّذِي يخْتَاره البصريون وَهُوَ إعْمَال الْفِعْل الآخر فِي اللَّفْظ،وَأما فِي الْمَعْنى فقد يعلم السَّامع أن الأول قد عمل كَمَا عمل الثَّانِي فَحذف لعلم الْمُخَاطب.

وَنَظِير ذَلِك فِي الْحَذف قَول الله عز وَجل ﴿ ﴾ فقد يعلم المخاطبون أن الذاكرات متعديات فِي الْمَعْنى وَكَذَلِكَ الحافظات؛ لِأَن الْمَعْنى والحافظاتها والذاكراته"(٣٥).

المبحث الثالث

تفسير الظواهر النحوية المتعلقة بمراعاة المتلقي عند سيبويه

وهي على النحو الآتي:

- **أولاً : الاستغناء بعلم المتلقي:**

يعدُّ الاستغناء بعلم المخاطَب عند سيبويه من أهم التفسيرات للظواهر التي تلحق بالجملة النحوية بناءً على مراعاة المتلقي، فقد استند سيبويه في تعليل كثيرٍ من الشواهد في مسائل الحذف والإضمار على علم المخاطَب والاكتفاء بذلك .

- ومن المسائل النحوية التي علل فيها سيبويه الإضمار بعلم المخاطَب الذي هو المتلقي : إضمار الفعل في أسلوب الاختصاص حيث قال :

"هذا بابٌ من الاختصاص يجري على ما جرى عليه النداء فيجيء لفظه على موضع النداء نصبا ؛ لأن موضع النداء نصب، ولا تجري الأسماء فيه مجراها في النداء؛ لأنهم لم يجروها على حروف النداء، ولكنهم أجروها على ما حمل عليه النداء.

وذلك قولك: إنا معشرَ العرب نفعل كذا وكذا، كأنه قال: أعني، ولكنه فعلٌ لا يظهر ولا يُستعمل كما لم يكن ذلك في النداء؛ لأنهم اكتفوا بعلم المخاطَب، وأنهم لا يريدون أن يحملوا الكلام على أوله، ولكن ما بعده محمول على أوله "(٣٦).

والمعنى : أن موضع النداء يقصد به المتكلم منادى غافلاً عنه فيختصه ليعطفه على نفسه، والمنصوب في هذا الكلام يعمل فيه فعلٌ يقصد به الاختصاص افتخاراً أو تفضيلا(٣٧).

وهو في المثال الذي ذكره سيبويه كأنه قال:" أعني"، وهذا الفعل لم يُظهر ولم يستعمل في هذا الموضوع كما هو الحال في النداء، ولكنه حمل الكلام عليه اكتفاءً بعلم المخاطَب بما يعنيه المتكلم.

- ومن المسائل النحوية التي علل فيها سيبويه الحذف بعلم المخاطَب: حذف الكاف التي تلحق (رويداً) إذا علم المخاطَب أنه لا يعني غيره، حيث قال.

"واعلم أن رُوَيْداً تَلحقها الكافُ وهى في موضع افعل، وذلك كقولك: رويدك زيداً، ورويدكم زيدا. وهذه الكاف التي لحقت رويداً إنّما لحقت لتُبيِّنَ المخاطَبَ المخصوصَ، لأنّ رُوَيْدَ تقع للواحد والجميع، والذَّكر والأنثى، فإنَّما أدخل الكافَ حين خاف الْتباسَ مَنْ يَعنى بمن لا يعنى، وإنَّما حذفَها في الأوَّل استغناء بعلم المخاطبَ أنّه لا يَعنى غيرَه"(٣٨).

وقد أوضح ابن السراج مؤكداً ما ذكره سيبويه أن "الكاف" تلحق "رويد" في موضع "أفعل" تبييناً لا ضميرًا فتقول: رويدك، ورويدكم، وإنما تلحقها لتبين المخاطَب المخصوص فقط غير ضمير، وذلك إذ كانت تقع لكل مخاطبٍ على لفظ واحد(٣٩).

- ومن المسائل النحوية التي علل فيها سيبويه الحذف بعلم المخاطَب: حذف المستثنى اكتفاءً بعلم المخاطَب، حيث قال:

"وذلك قولك: ليس غيرُ، وليس إلا، كأنه قال: ليس إلا ذاك، وليس غير ذاك، ولكنهم حذفوا ذلك تخفيفاً واكتفاءً بعلم المخاطَب وما يعنى"(٤٠).

والمعنى: أنهم حذفوا المستثنى بعد "إلّا"، و"غَيْر"، وذلك مع "لَيْسَ" خاصّةٌ دون غيرها ممّا يُستثنى به من ألفاظ الجَحْد، لعِلْم المخاطَب بمُرادِ المتكلّم، وذلك قوله: "ليس غيرُ" و"ليس إلّا".

والمراد: "ليس إلّا ذاك" و"ليس غير ذاك"، ولو قلت بدلَ "لَيْسَ": "لا يكون إلّا" أو "لم يكن غيرُ"، لم يجز. فإذا قالوا: "ليس إلّا" و"ليس غيرُ"، فإنّهم حذفوا المستثنى منه اكتفاء بمعرفةِ المخاطب، نحوَ: "ما جاءني إلّا زيدٌ"، والمرادُ: ما جاء أحدٌ إلّا زيدٌ، ومثلُ ذلك: "ما منهم إلّا قد قال ذاك"، يريد: ما منهم أحدٌ إلّا قد قال ذاك(٤١).

- ومن المسائل النحوية التي علل فيها سيبويه الإضمار بعلم المخاطَب: إضمار (أن) بعد (حتى) و(كي) استناداً على علم المخاطَب أنهما لا يضافان إلى فعل، حيث قال:

"واكتفوا عن إظهار (أن)بعدهما بعلم المخاطب أن هذين الحرفين لا يضافان إلى فعل، وأنهما ليسا مما يعمل في الفعل، وأن الفعل لا يحسن بعدهما إلا أن يحمل على أن، فـ(أن)ههنا بمنزلة الفعل في (أما)، وما كان بمنزلة(أما)مما لا يظهر بعده الفعل، فصار عندهم بدلاً من اللفظ بأن"(٤٢).

- ومن ذلك: حذف(الثمن) في نحو قولك:"كان البُرُّ قفيزين" و"كان السمنُ منوين" – يعني: مُدَّين–دون أن تقول: "بدرهم" أو نحو ذلك ؛ استناداً إلى علم المخاطَب بما يعني.

قال سيبويه:" وأمّا قول الناس: كان البُرُّ قفيزَيْن، وكان السَّمْنُ مَنَوَين، فإنما استغنوا هاهنا عن ذكر الدّرهم لِما في صدورهم من عِلمه، ولأنَّ الدرهم هو الذى يسعَّر عليه، فكأنّهم إنّما يَسألون عن ثمن الدرهم في هذا الموضع، كما يقولون: البُرُّ بستين، وتركوا ذكر الكُرّ؛ استغناءً بما في صدورهم من عِلمه، وبعلم المخاطَب، لأنّ المخاطب قد علم ما يَعنى"(٤٣).

ويؤكد ابن السراج ما ذكره سيبويه فيقول:

"ربما حذفوا شيئًا من الخبر في الجمل وذلك المحذوف على ضربين: إما أن يكون فيه الضمير الراجع إلى المبتدأ نحو قولهم: السمن منوان بدرهم، يريد: منه، وإلا كان كلامًا غير جائز؛ لأنه ليس فيه ما يرجع إلى الأول، وإما أن يكون المحذوف شيئاً ليس فيه راجع ولكنه متصل بالكلام نحو قولك: الكُرّ(٤٤) بستين درهمًا، فأمسكت عن ذكر الدرهم بعد ذكر الستين لعلم المخاطَب".

وقال المبرد :" وَقَوْلهمْ: أرخص مَا يكون البُرُّ بستين، تَأْويله: الكُرُّ بستين وَلَكنهُمْ حذفوا (الْكر) لعلمهم بِأن التسعير عَلَيْهِ يَقع فَكل مَا كَانَ مَعْلُوما في القَوْل جَاريا عِنْد النَّاس فَحَذفهُ جَازَ لعلم الْمُخَاطب "(٤٥).

- ومن صور الحذف – أيضاً– استغناءً بعلم المخاطَب ما ذكره سيبويه مثالاً على ذلك في قوله:

"ألا ترى أنك تقول: لخمسٍ بقين أو خلون، ويعلم المخاطَب أنَّ الأيام قد دخلت في الليالي، فإذا ألقى الاسم على الليالي اكتفي بذلك عن ذكر الأيام، كما أنه يقول: أتيته ضحوةً وبكرة،فيعلم المخاطَب أنَّها ضحوة يومك وبكرة يومك"(٤٦).

وبهذا يتبين لنا من خلال الأمثلة السابق ذكرها أن الاستغناء بعلم المخاطَب من أهم التفسيرات للظواهر التي تلحق بالجملة النحوية بناءً على مراعاة المتلقي عند سيبويه، وقد استند عليه في تعليل كثيرٍ من الشواهد في مسائل الحذف والإضمار.

- **ثانياً : الاستغناء بمشاهدة المتلقي:**

يُعَدُّ الاستغناء بمشاهدة المتلقي كالاستغناء بعلمه بمراد المتكلم، وهو عند سيبويه من التفسيرات التي يُستنَد إليها في تفسير الظواهر التي تلحق بالجملة النحوية بناءً على مراعاة المتلقي .

فقد يكون المتكلم يخاطب شخصاً مخصوصاً أقبل عليه بوجهه وأنصت له، أو يراه المتكلم فعل شيئاً فيبنى كلامه زيادةً وحذفاً وإظهاراً وإضماراً على ما شاهده المخاطَب في ذلك الحين .

- ومن الأمثلة التي ساقها سيبويه على ذلك : إلحاق "الكاف" بكلمة "رويد" أو حذفها بناء على مشاهدة المخاطَب وإقباله على المتكلم وعدم ذلك، حيث قال:

"واعلم أن رُوَيْداً تَلحقها (الكافُ) وهى في موضع افعل، وذلك كقولك: رويدك زيداً، ورويدكم زيدا، وهذه (الكاف) التي لحقت رويداً إنّما لحقت لتُبيّنَ المخاطَبَ المخصوصَ؛

لأنّ رُوَيْدَ تقع للواحد والجميع، والذّكر والأنثى، فإنَّما أدخل(الكافَ) حين خاف التّباسَ مَنْ يَعنى بمن لا يعنى، وإنَّما حذفها في الأوَّل استغناءً بعلم المخاطَب أنّه لا يَعنى غيرَه.

فلحاقُ (الكاف) كقولك: يا فلانُ، للرَّجُل حتَّى يُقْبِلَ عليك، وتركُها كقولك للرجل: أنت تَفعلُ، إذا كان مُقْبِلا عليك بوجهه مُنْصِتاً لك، فتركتَ يا فلانُ حين قلت: أنت تَفعَلُ؛ استغناءً بإقبالِه عليك، وقد تقول أيضاً: رُوَيْدَكَ، لمن لا يُخاف أن يَلتبسَ بسِواه، توكيداً، كما تقول للمقبِلِ عليك المُنْصِتِ لك: أنتَ تَفعلُ ذاك يا فلانُ، توكيداً"(٤٧).

ففي هذا المثال يوضح سيبويه أنه إذا كان الخطاب بين المتكلم والمتلقي وهو يشاهده يفعل شيئاً أو مقبلاً عليه بوجهه منصتاً له فإن للمتكلم أن يكتفي بقوله "رويداً " ويحذف الكاف ؛ استغناءً بمشاهدة المتلقي وإقباله على المتكلم، فحاله يغني عن لحاق الضمير به، وليس ثمة التباس قد يحصل عند المتلقي بذلك.

أما إذا كان المتلقي في جمع وقصد المتكلم تنبيهه على جهة الخصوص فإنه يلحق "الكاف" بلفظ "رويد" ؛ حتى لا يحصل التباس من يعني بمن لا يعني .

- ومن صور ذلك – أيضاً–: حذف الفعل استغناءً بمشاهدة المخاطَب .

وقد ضرب سيبويه عدداً من الأمثلة على ذلك ومنها :" أن ترى رجلاً قد أوْقَعَ أمراً أو تعرَّض لِه فتقول: متعرِّضاً لعَنَنٍ لم تَعنِه(٤٨)، أي دنا من هذا الأمر متعرِّضاً لعَنَن لم يَعنِه، وتَرَكَ ذكرَ الفعل لما يَرى من الحال.

ومثله: بَيْعَ الملطَى لا عهدَ ولا عقد، وذلك إنْ كنتَ في حال مساومةٍ وحالِ بيع، فتَدَعُ أبايعُك استغناءً لما فيه من الحال، ومثله: مَواعيدَ عرقوبٍ أخاه بَيثْرِبِ(٤٩).

كأنه قال: واعَدْتَنى مَواعيدَ عرقوبٍ أخاه، ولكنه ترك واعدتَنى استغناءً بما هو فيه من ذكر الخُلْفِ، واكتفاءً بعلم من يعنى بما كان بينهما قبل ذلك"(٥٠).

فإنك إن قلت: "مَواعِيدَ عُرْقُوب"، أي: وعدتَني مواعيدَ عرقوب، فهو مصدرٌ منصوبٌ بـــ"وَعَدْتَنِي"، ولكنه تُرك لفظه استغناء اكتفاء بعلم المخاطب بالمراد(٥١).

ومن ذلك –أيضاً– حذف الفعل "اتق" في نحو قولك :"رأسك والحائط " لمن تحذره من ذلك وقد رأيت أن رأسه قد يصطدم بالحائط .

قال سيبويه :"كما تقول: رأسَك والحائطَ وهو يحذّره، كأنّه قال: اتق رأسَك والحائطَ،وإنّما حذفوا الفعلَ في هذه الأشياءِ حين ثنَّوْا لكثرتها في كلامهم، واستغناءً بما يرون من الحال"(٥٢).

وفي قولهم: "رأسَك والحائطَ"، ينتصب "الرأس" بفعلٍ مضمر، و"الحائطَ" مفعول معه، والتقدير: دَعْ رأسَك والحائطَ، أي: مع الحائط، كقولك: "استوى الماءُ والخَشَبَة"(٥٣).

ويجوز أن يكون التقدير: اتّقِ رأسَك والحائطَ، وهو تحذير، كأنّه على تقديرَيْن: أي اتّق رأسَك أن يدُقّ الحائطَ، واتّق الحائطَ أن يُصيب رأسَك، فينتصب كلٌّ واحد منهما بفعل مقدَّر(٥٤).

- ومن ذلك : ما ذكره سيبويه في "باب الحروف التي ينبه بها المدعو" حيث قال:

فأما الاسم غيرُ المندوب فينبَّه بخمسة أشياء: بيا، وأيا، وهَيا، وأي، وبالألف، نحو قولك: أحارِ بنَ عمرٍو، إلا أن الأربعة غير الألف قد يستعملونها إذا أرادوا أن يمدوا أصواتهم للشيء المتراخى عنهم، والإنسان المعرض عنهم، الذي يُرَون أنه لا يُقبل عليهم

إلا بالاجتهاد، أو النائم المستثقل، وقد يستعملون هذه التي للمد في موضع الألف ولا يستعملون الألف في هذه المواضع التي يمدون فيها، وقد يجوز لك ان تستعمل هذه الخمسة إذا كان صاحبك قريبا منك، مقبلاً عليك، توكيدا.

وإن شئت حذفتهن كلهن استغناء كقولك: حار بنَ كعبٍ، وذلك أنه جعلهم بمنزلة مَن هو مقبلٌ عليه بحضرته يخاطبه"(٥٥).

وهو من مراعاة حال المتلقي قرباً وبعداً وإقبالاً وإعراضاً .

ومن هذا الباب : ما وجَّه به بعض النحاة قول ذي الرمة(٥٦):

عشية فر الحارثيون بعد ما ... قضى نحبه في ملتقى القوم هوبر

وهو من حذف المضاف استغناءً بمشاهدة المخاطَب،فـ"الهَوْبَرُ هو يزيد بن هوبر، كان قُتل في المَعْرَكَة، فحذف المضافَ؛ لأن المخاطب مُشاهِد لذلك في الحرب، فلا يُشْكِل عليه المقتولُ"(٥٧).

ومن خلال ما ذكرناه من الأمثلة السابقة يتبين لنا أن الاستغناء بمشاهدة المتلقي كالاستغناء بعلمه بما يعني المتكلم، وهو –أيضاً– من التفسيرات التي يستند إليها في تفسير الظواهر التي تلحق بالجملة النحوية بناءً على مراعاة المتلقي .

فقد يكون المتكلم يخاطب شخصاً مخصوصاً أقبل عليه بوجهه وأنصت له، أو يراه المتكلم فعل شيئاً فيبنى كلامه زيادةً وحذفاً وإظهاراً وإضماراً على مشاهدة المخاطَب .

الاختصار في قوله تعالى: ﴿ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ﴾ [يوسف:٨٢]، وفي قوله تعالى: ﴿ٹ ٹ ٹ ٹ﴾ [سبأ:٣٣] وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿ پ پ پ پ ڀ ڀ ﴾ [البقرة:١٧٧] حيث قال :

"ومما جاء على اتّساع الكلام والاختصار قوله تعالى جدّه: ﴿ گ گ گ گ ں ں ڻ ڻ ڻ ﴾ إنّما يريد: أهلَ القرية، فاختصر، وعمل الفعل في القرية كما كان عاملاً في الأهل لو كان هاهنا.

ومثله: ﴿ٹ ٹ ٹ ٹ﴾ ، وإنّما المعنى: بل مكر كم في الليل والنهار.

وقال عزّ وجلّ: ﴿ پ پ پ پ ڀ ڀ ﴾ ، وإنّما هو: ولكنّ البرَّ برُّ من آمن بالله واليوم الآخِر"(٥٨).

أما في اتساع الكلام فقد مثل له بقولُه عزّ وجلّ : ﴿ ڈ ڈ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک ﴾ [البقرة:١٧١].

وقال: "وإنَّما شُبّهوا بالمنعوق به وإنَّما المعنى: مَثَلُكم ومَثَلُ الذين كفروا كمثل الناعِق والمنعوق به الذى لا يَسمع، ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطَب بالمعنى"(٥٩).

وحذف المضاف في كلام العرب كثير، وهو سائغٌ في سعةِ الكلام، وحال الاختيار، وشرط ذلك أن يعلم المخاطب المراد ولا يلتبس عليه، فإذا حصل المعنى بقرينةِ حالٍ، أوَ لفظٍ آخرَ، استُغنى عن اللفظ الموضوع بإزائه اختصارًا، وإذا حُذف المضاف، أقيم المضافُ إليه مُقامَه، وأعرب بإعرابه(٦٠).

ويؤكد هذا الضابط ما صرح به ابن السراج بقوله:

"والمحذوفات في كلامهم كثيرة، والاختصار في كلام الفصحاء كثيرٌ موجودٌ إذا آنسوا بعلم المخاطَب ما يعنون"(٦١).

ومن خلال ما تقدم ذكره من الأمثلة يتبين أن اختصار الكلام واتساعه بحسب علم المخاطَب بالمعنى الذي يعنيه المتكلم يعد من التفسيرات التي يستند إليها سيبويه في تفسير

الظواهر التي تلحق بالجملة النحوية بناءً على مراعاة المتلقي، وهي من مستنداته في تعليل كثيرٍ من الشواهد .

- **رابعاً : أمن اللبس عند المتلقي :**

يعتبر الإفهام هو مقصود التواصل اللغوي بين المتكلم والمتلقي، وهي الوظيفة الأساسية لكل اللغات، وإذا كان الأمر كذلك فلابد أن يراعى أمن اللبس على المتلقي، فلا يتكلم بكلامٍ يوقع المتلقي في اللبس، وهو ما يتعارض مع مقصود الإفهام .

يقول تمام حسان :"إن اللغة العربية– وكل لغة أخرى في الوجود– تنظر إلى أمن اللبس باعتباره غاية لا يمكن التفريط فيها ؛ لأن اللغة الملبسة لا تصلح واسطة للإفهام والفهم وقد خلقت اللغات أساسا للإفهام وإن أعطاها النشاط الإنساني استعمالات أخرى فنية ونفسية"(٦٢).

وقد عقد السيوطي فصلاً كاملاً في كتابه "الأشباه والنظائر" تحت عنوان(اللبس محذور) وذكر فيه أنه لابد من وضع ما يزيله إذا خيف من حصوله، وضرب أمثلة عديدةً على ذلك من أبواب نحوية متفرقة(٦٣).

- ومن الصور التي ذكرها سيبويه مما يجب تجنبه في الخطاب حتى لا يحصل اللبس عند المتلقي : حذف لفظٍ من ألفاظ الجمل المركبة التي لا ينفرد منها شيءٌ دون ما بعده، ومن الأمثلة التي ساقها على ذلك ما ذكره في قوله:"

"ولا يجوز أن تقول: بعتُ دِارى ذراعا، وأنت تريد بدرهم، فيُرَى المخاطَبُ أنَّ الدار كلَّها ذراعٌ، ولا يجوز أن تقول: بعتُ شائى شاةً شاةً، وأنت تريد بدرهم، فيُرَى المخاطَبُ أنَّك بعتها الأوّلَ فالأولَ على الولاءِ، ولا يجوز أن تقول: بيّنتُ له حِسابَه باباً، فيُرَى المخاطَب أنك إنما جعلت له حسابه باباً واحدا غيرَ مفسَّرٍ، ولا يجوز تَصدّقتُ بمالي درهماً، فيُرَى المخاطَبُ أنك تَصدّقت بدرهم واحد، وكذلك هذا وما أشبهه"(٦٤).

ففي هذا المثال يوضح سيبويه أن الحذف الذي يلحق لفظاً من ألفاظ الجمل المركبة التي لا ينفرد منها شيءٌ دون ما بعده مثل" بعتُ شائى شاةً شاةً بدرهم" لا يجوز في الخطاب ؛ لأنه يوقع المخاطَب في اللبس، فإذا قال:" بعتُ شائي شاة شاة" وهو يريد بعتها بدرهم،وحذف لفظ "بدرهم" فإن المعنى سيتغير ويرى المخاطَب أنك بعتها تباعاً الأول فالأول، وعليه فإن هذا الحذف لا يجوز ؛ لما فيه من إيقاع المخاطَب في اللبس.

- ومن الصور التي ذكرها سيبويه مما يجب تجنبه في بناء الجملة النحوية حتى لا يحصل اللبس عند المتلقي : ما ذكره في (باب ما يضمر فيه الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمر والنهى) حيث قال:

"ومثل ذلك أن ترى رجلاً يريد أن يوقِعَ فِعْلا، أو رأيتَه في حالِ رجلٍ قد أوْقَعَ فعلا، أو أُخبرتَ عنه بفعلٍ، فتقول: زيداً، تريد: اضربْ زيداً، أو أتَضربُ زيداً.

ومنه –أيضاً –أن ترى الرجل أن تُخبَرَ عنه أنّه قد أتى أمراً قد فَعَله فتقول: أكلَّ هذا بُخلاً، أي أتَفْعَلُ كلَّ هذا بُخْلاً، وإنْ شئت رفعتَه فلم تحمله على الفعل، ولكنّك تجعله مبتدأ.

وإنما أضمرت الفعل هاهنا وأنت مخاطب، لأنَّ المخاطَب المُخبَرَ لستَ تجعلُ له فعلا آخَرَ يعمل في المُخْبَر عنه، وأنت في الأمر للغائب قد جعلتَ له فعلا آخَرَ يعمل، كأنّك قلت: قُلْ له لِيَضربْ زيداً، أو قل له: اضربْ زيداً، أو مُرْهُ أن يَضْربَ زيداً، فضَعُفَ عندهم مع ما يَدخل من اللَّبس في أمرٍ واحدٍ أنْ يُضْمَرَ فيه فِعْلان لشيئين"(٦٥).

وهذا كله معتبرٌ في حال توقع المتكلم حصول اللبس عند المخاطَب، فإنه لا يجوز له حينئذٍ أن يستعمل الحذف في كلامه الذي يحصل مع اللبس .

أما إذا علم المخاطَب ما يعنيه المتكلم ولم يحصل له التباس بالحذف في الكلام فلابأس حينئذٍ من استعمال المتكلم الحذف في كلامه .

- ومن الأمثلة التي ذكرها سيبويه مما يجوز فيها الحذف لارتفاع اللبس عند المخاطَب أن "تقول: ما كلٌّ سوداء تمرةً ولا بيضاءَ شحمةٌ، وإن شئت نصبتَ شحمةً، وبيضاءُ في موضع جرّ، كأنك أظهرت كلَّ فقلتَ ولا كلٌّ بيضاءَ"(٦٦)

"فاستغنيتَ عن تثنية (كل) لذكرك إيَّاه في أوّل الكلام ولقلّة التباسِه على المُخاطَبِ"(٦٧)

وعلى هذا فإن المتكلم لا يجوز له أن يحذف أو يزيد أو يقدم أو يؤخر في الكلام إلا إذا غلب على ظنه أن المتلقي سيحصل له الإفهام بذلك ويتبين له المعنى المراد دون التباس، فإن لم يتضح له المعنى المراد فإنه لا يجوز أن يتصرف في الكلام بما يدخل اللبس على المخاطَب.

قال ابن جني:" فإن فهم عنك في قولك: ضربت زيدًا، أنك إنما أردت بذلك: ضربت غلامه أو أخاه أو نحو ذلك جاز، وإن لم يفهم عنك لم يجز، كما أنك إن فهم عنك بقولك: أكلت الطعام، أنك أكلت بعضه، لم تحتج إلى البدل، وإن لم يفهم عنك وأردت إفهام المخاطَب إياه لم تجد بدًّا من البيان، وأن تقول: بعضه أو نصفه أو نحو ذلك"(٦٨).

وبهذا يتبين أن تجنب حصول اللبس على المخاطَب عند سيبويه يعتبر من التفسيرات التي يستند إليها سيبويه في تفسير الظواهر التي تلحق بالجملة النحوية بناءً على مراعاة المتلقي، حذفاً وذكراً، وتقديماً وتأخيراً.

الخاتمة

لقد أسفر هذا البحث عن جملةٍ من النتائج التي يمكن إيجازها فيما يأتي :

–المتلقي اصطلاحاً هو : الذي يستقبل الكلام الموجَّه إليه سامعاً كان أو قارئاً .

– استعمل سيبويه في كتابه عدة مصطلحات للدلالة على المتلقي الذي يتوجه إليه الكلام ويستقبله، فتارةً يستعمل مصطلح "السامع"، وتارة يستعمل مصطلح "المخاطَب"، وتارة يستعمل مصطلح "المخبَر"،وتارةً يستعمل مصطلح "المحدَّث"، وفي كل المواضع هو يعني بذلك من يتوجه إليه الكلام .

– مراعاة أحوال المتلقي في بناء الجملة النحوية وتفسير الظواهر المتعلقة بذلك عند سيبويه يُعَدّ من أبرز المظاهر التي تؤكد الصلة الوثيقة بين النحو وأحد عناصر السياق وهو المتلقي، الأمر الذي يحفظ للتفكير النحوي عند العرب أسبقيته في الكشف عن ذلك على النظريات الحديثة، ولاسيما الوظيفية والتداولية.

– بلغ عدد المواضع التي أشار فيها سيبويه في كتابه إلى الظواهر النحوية المتعلقة بمراعاة المتلقي وتفسيراتها أكثر من ثمانين (٨٠) موضعا تشمل أبواباً نحوية شتى، وهو ما يبرز مدى اعتناء سيبويه بالتنبيه على تلك الصلة الوثيقة بين بناء الجملة النحوية وحال المتلقي لها .

– التعريف والتنكير من الظواهر النحوية التي تلحق الجملة بناءً على مراعاة المتلقي عند سيبويه، فتعريف بعض الأسماء أو تنكيرها يكون تبعاً لوضوح المعنى عند المتلقي من عدمه، وقد بنى سيبويه كلامه في تعريف المبتدأ والخبر وتنكيرهما على ما يعلمه المخاطَب، أو يحتاج أن يعلمه، مع الابتعاد عما يتسبب في حصول اللبس عند المخاطَب .

– الحذف من أبرز الظواهر النحوية التي تلحق الجملة بناءً على مراعاة المتلقي عند سيبويه، فالمتكلم قد يصير إلى الحذف في الكلام إذا غلب على ظنه أن المتلقي قد حصل

له فهم المقصود من كلامه ، وبان له المعنى المراد، دون أدنى لبسٍ أو إبهام، فإن غلب على ظن المتكلم أن المتلقي لم يفهم المراد، أو التبس عليه بسبب الحذف، فإن الحذف حينئذٍ يكون معيباً في الكلام .

– استعمال الضمائر أوترك ذلك بحسب حال المخاطَب وعلمه بما يعني المتكلم يعدُّ من الظواهر النحوية التي تلحق الجملة بناءً على مراعاة المتلقي عند سيبويه، فالمخاطَب إذا كان يعرف المتكلم ولا يجهله، فلا يجوز استخدام الضمير، أما إذا كان المتكلم مجهولاً عند المخاطَب، أو في موضع يحتاج المخاطَب أن يعلمه فحينئذٍ يحسن ذكر الضمير.

– الاختصاص الذي يجري على ما جرى عليه النداء فيجيء لفظه على موضع النداء نصباً يعدُّ من الظواهر النحوية التي تلحق الجملة بناءً على مراعاة المتلقي عند سيبويه، وذلك لعلم المخاطَب بالمراد.

– من أهم الظواهر النحوية التي تلحق الجملة بناءً على مراعاة المتلقي عند سيبويه تغير علامات الإعراب رفعاً وخفضاً ونصباً، وهو ما يؤثر في توجيه الحالات والمواضع الإعرابية ، وبيان أوجه كل منهما ، وما يؤثر فيهما، وما يلزم ذلك من تقريرٍ أو تفسيرٍ أو تعليلٍ.

– الاستغناء بعلم المخاطَب من أهم التفسيرات التي يستند إليها سيبويه في تفسير الظواهر التي تلحق بالجملة النحوية بناءً على مراعاة المتلقي، فقد استند سيبويه في تعليل كثيرٍ من الشواهد في مسائل الحذف والإضمار على علم المخاطَب والاكتفاء بذلك .

– الاستغناء بمشاهدة المخاطَب كالاستغناء بعلمه بمراد المتكلم، وهو من التفسيرات التي يستند إليها سيبويه في تفسير الظواهر التي تلحق بالجملة النحوية بناءً على مراعاة المتلقي، فقد يكون المتكلم يخاطب شخصاً مخصوصاً أقبل عليه بوجهه وأنصت له، أو يراه المتكلم فعل شيئاً فيبنى كلامه زيادةً وحذفاً وإظهاراً وإضماراً على ما شاهده المخاطَب في ذلك الحين .

– اختصار الكلام واتساعه بحسب علم المخاطَب بالمعنى يعد من التفسيرات التي يستند إليها سيبويه في تفسير الظواهر التي تلحق بالجملة النحوية بناءً على مراعاة المتلقي.

– تجنب حصول اللبس على المخاطَب يعتبر من أهم التفسيرات التي يستند إليها سيبويه في تفسير الظواهر التي تلحق بالجملة النحوية بناءً على مراعاة المتلقي حذفاً وذكراً وتقديماً وتأخيراً، وبناءً عليه فإن المتكلم لا يجوز له أن يحذف أو يزيد أو يقدم أو يؤخر في الكلام إلا إذا غلب على ظنه أن المتلقي سيحصل له الإفهام بذلك ويتبين له المعنى المراد دون التباس، فإن لم يتضح له المعنى المراد، أو خشي من حصول اللبس عنده، فإنه لا يجوز أن يتصرف في الكلام بما يدخل اللبس على المخاطَب، وهو ما يتعارض مع مقصود التواصل اللغوي الذي هو الإفهام.

Abstract

The Effect of Considering the Recipient while structuring the syntactic sentence in Sibawayhi's book *al-Kitab*

By Noah Ebn Yahya

This study aims to investigating the effect of considering the recipient while structuring the sentence in syntax, and clarifying the importance of that in the works of Sibawayhi. It also aims to show the repercussions which occur in the sentence when the writer considers the recipient. The researcher will apply the deductive analytical approach on the relevant texts in Sibawayhi's book al-Kitab which is considered to be the main source in conceiving the Arabic syntax and illustrating its purposes which are connected to meaning and semantic

key words:

Seboye-receiver-book Sebwaye-syntax sentence-phenomenon-interpretation-communication

الهوامش

(١) ينظر: لسان العرب، مادة "ل ق ي"،(٢٤٥/١٥).
(٢) مقاييس اللغة، مادة "ل ق ي"، (٢٦٠/٥).
(٣) تاج العروس، مادة " ل ق ي"،(٤٧٤/٣٩).
(٤) لسان العرب(٢٥٤/١٥).
(٥) ينظر: نظرية التلقي : أصول وتطبيقات، د بشرى موسى (١١) ، والتلقي والتأويل، د. محمد مفتاح(١٧)،ونظرية التلقي(مقدمة نقدية) ، روبرت هولاب ، ترجمة خالد التوزاني ، الجيلالي الكدية(١٥)
(١) الكتاب(٢٥٤/١-٢٥٥).
(٢) المصدر السابق(٣٤٦/٢).
(٣) المصدر السابق(١٠٣/٣).
(٤) المصدر السابق(١١/٢).
(١) الموافقات(٥٤/٥).
(١) الكتاب(٤٦/١-٤٧).
(١) المصدر السابق(٥٤/١).
(٢المصدر السابق(١٤٣/٢).
(٣) مغني اللبيب(٥٨٨).
(٤) المصدر السابق(٥٩٠).
(١) المقتضب(١٣٠/٤).
(٢) شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب(٢٣١/١).
(٣) الكتاب(٢٢٤/١).
(٤) المقتضب(١٢٩/٤).
(١) الكتاب(٢٢٤/١).
(٢) المصدر السابق(٣١٢/١).
(٣) اللامات(١٢٤).
(٤) الكتاب(٦٦/١)
(١) المصدر السابق(٣٤٤/٣-٣٤٥).
(٢) المصدر السابق(٨١/٢).
(٣) المصدر السابق(٢٥٣/١).
(١) المصدر السابق(٢٥٤/١-٢٥٥).
(٢) هو : عَمْرو بن شأس بن أبى بلى واسْمه عبيد بن ثَعْلَبَة بن ذوبية بن مَالك بن الْحَارث بن سعد بن ثَعْلَبَة بن أسد ابْن خُزَيْمَة، شاعر كثير الشعر مقدم أسلم في صدر الإسلام وشهد القادسية. ينظر: طبقات فحول الشعراء(١٩٠/١)، ومعجم الشعراء(٢١٢).

(٣) الكتاب(٤٧/١).
(٤) المصدر السابق(٢٣٣/٢).
(١) المصدر السابق(٤٣١/١).
(٢) المصدر السابق(٧٠/٢).
(١) المصدر السابق(٧٣/١-٧٤)
(٢) المصدر السابق(٧٤/١).
(٣) المقتضب(٧٢/٤).
(١) الكتاب(٢٣٣/٢)
(٢) ينظر: النكت في تفسير كتاب سيبويه (٣٥٦/٢).
(٣) الكتاب(٢٤٤/١).
(٤) ينظر: الأصول في النحو(١٤٣/١-١٤٤).
(١) المصدر السابق(٣٤٤/٢)
(٢) شرح المفصل لابن يعيش(٨٣/٢).
(٣) الكتاب(٧/٣)
(٤) المصدر السابق(٣٩٣/١).
(٥) الكر: مكيال لأهل العراق، وهو عندهم ستون قفيزا.
(١) المقتضب(٢٥٤/٣).
(٢) الكتاب(٣٦٥/٣).
(٣) المصدر السابق(٢٤٤/١).
(١) العنن هو : شوط الدابة وأول الكلام، وهذا المثل يضرب للمعترض فيما ليس من شأنه .ينظر: مجمع الأمثال للميداني(٣٥٩/٢).
(٢) عرقوب: رجل من العَمَاليق، أتاه أخ له يسأله، فقالَ له عرقوب: إذا أطْلَعَتْ هذه النخلة فلك طلْعها، فلما أطلعت أتاه للعِدَةِ، فقالَ: دَعْها حتى تصير بَلَحا، فلما أبْلَحَتْ قالَ: دَعْها حتى تصيرَ زَهْوًا، فلما زَهَت قالَ: دَعْها حتى تصير رُطَبا، فلما أرْطَبَتْ قالَ: دَعْها حتى تصير تمراً، فلما أثْمَرَتْ عمد إليها عرقوبٌ من الليل فجدَّها ولم يُعْطِ أخاه شيئاً، فصار مثلاً في خلف الوعد. ينظر: مجمع الأمثال للميداني(٣١١/٢).
(٣) الكتاب(٢٧٢/١).
(٤) شرح المفصل لابن يعيش(٢٧٨/١).
(٥) الكتاب(٢٧٥/١).
(٦) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش(٣٩١/١)
(١) ينظر: المرجع السابق.
(٢) الكتاب(٢٢٩/٢-٢٣٠).
(٣) هو: غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي . أبو الحارث، ذو الرمة(ت١١٧هـ) له ديوان مطبوع .
(٤) شرح المفصل لابن يعيش(١٩٣/٢).
(١) الكتاب(٢١٢/١).
(٢) المصدر السابق(٢١٢/١).
(٣) شرح المفصل لابن يعيش(١٩٢/٢).
(٤) الأصول في النحو(٣٢٤/٢).
(١) اللغة العربية معناها ومبناها (٢٣٣).
(٢) ينظر: الأشباه والنظائر(٣١٤/٢-٣٢١).
(٣) الكتاب(٣٩٣/١).
(١) المصدر السابق(٢٥٨/١).

(٢) المصدر السابق(٦٥/١).
(٣) المصدر السابق(١/ ٦٦).
(٤) الخصائص(٤٥٤/٢).